مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية

اسم المقال: التزيينات الداخلية للمنزل في سورية خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار
اسم الكاتب: د. أحمد يوسف دياب
رابط ثابت: https://political-encyclopedia.org/library/2897
تاريخ الاسترداد: 2025/05/10 04:04 +03

الموسوعة السياسيّة هي مبادرة أكاديمية غير هادفة للربح، تساعد الباحثين والطلاب على الوصول واستخدام وبناء مجموعات أوسع من المحتوى العلمي العربي في مجال علم السياسة واستخدامها في الأرشيف الرقمي الموثوق به لإغناء المحتوى العربي على الإنترنت.
لمزيد من المعلومات حول الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political، يرجى التواصل على info@political-encyclopedia.org

استخدامكم لأرشيف مكتبة الموسوعة السياسيّة - Encyclopedia Political يعني موافقتك على شروط وأحكام الاستخدام المتاحة على الموقع https://political-encyclopedia.org/terms-of-use

تم الحصول على هذا المقال من موقع مجلة جامعة دمشق للآداب والعلوم الإنسانية ورفده في مكتبة الموسوعة السياسيّة مستوفياً شروط حقوق الملكية الفكريّة ومتطلبات رخصة المشاع الإبداعي التي ينضوي المقال تحتها.

التزيينات الداخلية للمنزل في سورية خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار.

د. أحمد يوسف دياب*

الملخص

اهتم إنسان العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار في سورية بشكل المنزل، وكان المنزل دائريًا ورباعيًا، كما قام بتزيين عناصر المنزل من الداخل (الأرض والجدران)، وكانت التزيينات إما هندسية مقتصرة على الجدران فقط، وإما مواضيع حيوانية شملت الأرض والجدران، وكان الثور الموضوع الرئيسي فيها، بينما اقتصر تجسيد الإنسان على المرأة في أرضية المنزل. وعكست هذه الأعمال الفنية المستوى الفني لإنسان ذلك العصر المرتبط بالجانب العقائدي.

* جامعة دمشق، كلية الآداب والعلوم الإنسانية، قسم الآثار.

Internal Decorations of houses in Syria during the Neolithic pre pottery Era

Dr. Ahmad Youssef Al-dyab[**]

Abstract

Neolithic pre pottery people in Syria were interested in the shape of the house. It was circular and quadrilateral, and decorated the elements of the house from inside (the earth and the walls). The decorations were either geometrical confined only to the walls or animal themes that included the earth and the walls, Taurus was their main theme . However, the embodiment of man was confined to women on the floor of the house. These works reflected the artistic level of the man of that era associated with the dogmatic side.

[**] Damascus University, Faculty of Arts and Humanities, Archaeology Department.

شكلت المغاور والكهوف المسكن الطبيعي للإنسان في سورية خلال العصر الحجري القديم تقريبا، بعد أن وفرت له الحماية من العوامل الطبيعية والحيوانات المفترسة، وحصلت هناك بعض الاستثناءات في محاولة الإنسان البناء والاستغناء عن الملجأ الطبيعي؛ إذ كشفت التنقيبات الأثرية موقعين في سورية يعودان إلى الطور الأوسط من الثقافة الآشولية، وهما اللطامنة في حوض العاصي وموقع الميرا في حوض الكوم في بادية تدمر؛ إذ عُثِرَ في كل منهما على أرضية سكن سليمة تعود إلى حوالي 700 ألف سنة[1]، وما عدا ذلك بقيت المغارة والكهف السكن الطبيعي المفضل لدى الإنسان في سورية ولاسيما في بلاد الشام إلى نهايات العصر الحجري القديم إذ بدأت تتشكل قرى الصيادين الأولى مع الثقافة الكبارية والنطوفية؛ وشهدت بلاد الشام خلال الثقافة الكبارية التي تؤرخ ما بين 20000-14000 ق.م الخطوات الأولى على صعيد استقرار الإنسان، فقد اكتشف محاولات بدائية للسكن، وذلك بقيامهم ببناء البيوت خارج الكهوف والمغارات، وقد كانت هذه البيوت معزولة عن بعضها، وهي على شكل حفر دائرية أو شبه دائرية صغيرة الحجم عثر عليها في السفوح والمنحدرات، وتشكلت جدرانها وأرضها من الطين والحجر، وسقفها من الجلود والأغصان، وجاءت أمثلة على هذا السكن في عدة مواقع، كموقع أوهالو Ohalo II على الضفة الجنوبية الغربية لبحيرة طبرية، ويعود إلى نحو 19 ألف سنة خلت، وموقع عين جيف الذي أُرخ بطريقة الفحم المشع على 13750 سنة، وتشكل هذه الأمثلة بداية قرى الصيادين الأولى[2].

وتعزز البناء في المنطقة مع الثقافة النطوفية التي تعد المرحلة الأساسية للاستقرار في بلاد الشام، وبناء قرى الصيادين الأولى، وقد عثر على آثار الفترة الأولى منها في سورية والمؤرخة على 12500 ق.م في مواقع: الطيبة في درعا، والمريبط وأبي هريرة على نهر الفرات، و الديدرية في عفرين، وجفتليك في حمص، والقراصة في السويداء، وفي ريف دمشق مواقع يبرود وجيرود وباز جبعدين، و كانت المساكن التي كشف عنها مبنية في الهواء الطلق، مغروسة قليلًا في الأرض محفورة في خنادق دائرية، أساساتها من الحجر، وجدرانها من الطين، وبقيت محفوظة في بعض المواقع لحوالي 1م، كما في موقع عين الملاحة في الأردن (الشكل1)، وكانت سقوفها من الخشب وأشكالها دائرية ويتراوح قطرها بين (5-8م)، أرضيتها مرصوفة بالحجارة[3]، وفي وسطها موقد، وبقربها

[1]- Boëda et al 2004.P.187

[2]- محيسن، سلطان: 2003، ص: 154.

[3]- Stekeelis Met Yzraely T: 1963, P: 1-12.

مخزن للحبوب محفور بعمق في الأرض، ولم يعثر حتى الآن على تزيينات أو رسوم جدارية على جدران منازل الثقافة النطوفية، ولكن يمكن القول: إن بعض البيوت ربما شكلت نوعًا من المزارات العائلية، فقد عثر في بعض المواقع مثل موقع عين الملاحة على بيت دائري يتوسطه قبر عائلة، وبالقرب منه عثر على موقد ربما كان معدًا لتقديم القرابين.[4]

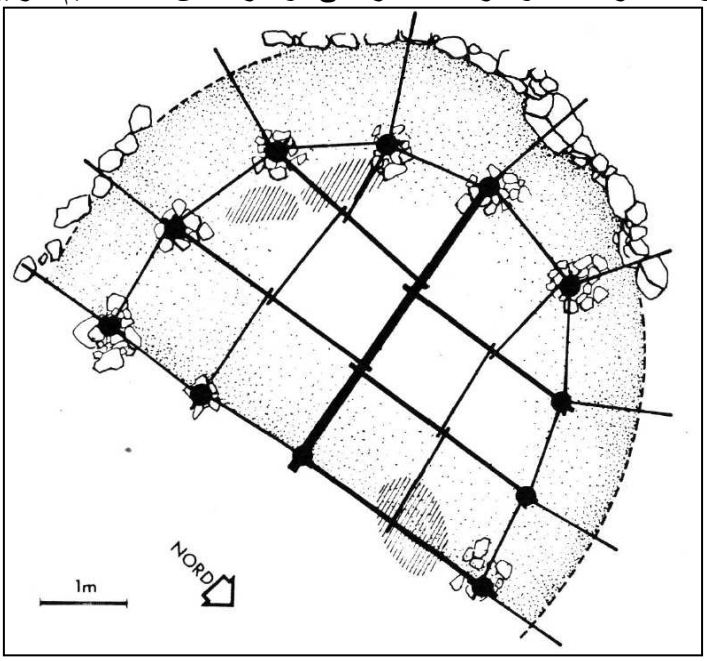

الشكل(1): رسم تخيلي لمنزل نطوفي من موقع عين الملاحة[5].

واستمر النمط نفسه في البناء مع الثقافة الخيامية المؤرخة ما بين 10000– و9500 التي تعد فترة انتقالية قصيرة بين الثقافة النطوفية والعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار "أ"، فقد كان المنزل الدائري المبني مباشرة على سطح الأرض كما في السوية الثانية من موقع المريبط.[6]

يعد العصر الحجري الحديث Neolithic عصر الزراعة والتدجين وغيره من الإنجازات الحضارية الأخرى، ويقسم هذا العصر إلى قسمين: العصر الحجري الحديث

[4]– Akkermans. P. A& Schwartz G: 2003, P: 29-31.
[5]– Valla Francois: 1987, P: 286.
[6]– Aurenche. O, 1980, P: 32.

ما قبل الفخار، والعصر الحجري الحديث الفخاري. ويقسم العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار إلى قسمين: **الأول** العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (أ) Pre Pottery Neolithic A ،ويرمز له اختصارا بـ P.P.N.A- ، والعصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (ب) Pre Pottery Neolithic B، ويرمز له اختصارا بـ P.P.N.B، ويؤرخ العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (أ) – P.P.N.A بين 9500–8700 ، وعثر على آثاره في عدة مواقع في سورية كموقع تل عبر، وجرف الأحمر، وجعدة المغارة، والمريبط السوية الثالثة، وغيرها[7]؛ ويؤرخ العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (ب) بين 8700–7000ق.م، ويقسم إلى ثلاثة أجزاء، وهي القديم: 8700–8200ق.م، والأوسط: 8200–7500ق.م، والحديث: 7500–7000ق.م. وانتشرت مواقع هذا العصر على مساحة واسعة من سورية وبلاد الشام؛ إذ سكن الإنسان مواقع جديدة كموقع أبي هريرة، وبقرص، وتل أسود، و تل الرماد، وغيرها[8].

وبنى الإنسان في العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار منازل ذات أشكال معينة، وقام بتزيين بعض منها، ولاسيما تلك التي تعود للنفع العام، وسنحاول بداية التعرف على شكل المنزل، ومن ثم نحاول رصد أهم التزيينات التي أدخلها إنسان هذا العصر على أقسام المنزل بداية من أرض المنزل، ثم المصطبة الداخلية، وصولًا إلى الجدران.

1– شكل المنزل:

سادت في العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (أ) P.P.N.A البيوت ذات الشكل الدائري أو البيضوي، نصفها مطمور في التربة، والنصف العلوي ذو بنية خفيفة من التراب المدكوك، أما من الداخل فقد قسمت بجدران مستقيمة تقريبًا لتقطيع المساحة الداخلية واستغلالها كلها، إذ توجد حجرة للنوم مقابل المدخل، وحجرة للموقد، وأخرى لتخزين الحبوب[9]، ويغطي المنزل سقف من الطين القائم على حوامل خشبية متلاقية ومتصلة بحيث لا تحتاج إلى حوامل كثيرة من أرض المنزل مما يجعل حرية التحرك فيه أسهل(وهذا النموذج عثر عليه في سورياة في كل من المريبط، وتل الشيخ حسن، والقرامل، والجرف الأحمر)[10]. بالإضافة للبيوت الدائرية المخصصة للسكن فقد بنى سكان قرى العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار (أ) في سورية البيوت الدائرية الكبيرة

[7]- كفافي، زيدان: مرجع سابق، ص: 149–150.
[8]- محيسن، سلطان: ص: 184–185.
[9]- عبد الرحمن، عمار: 2009، ص: 49.
[10]- عبد الرحمن، عمار: 2009، ص: 49.

المتعددة الوظائف، فكانت في البداية بيوتًا قسمت إلى حجرات داخلية للتخزين، كما توجد مصطبة تتوسط الفسحة الداخلية لإقامة الاجتماعات، وعثر على أمثلة منها في المربيط السوية الثالثة كالبيت رقم 47، و البيت رقم EA30 الذي عثر عليه في موقع الجرف الأحمر (الصورة1)، والذي بني بشكل دائري ومدعم بدعائم خشبية لرفع الجدران والسقف، وقد قسم من الداخل إلى ست غرف صغيرة.[11]

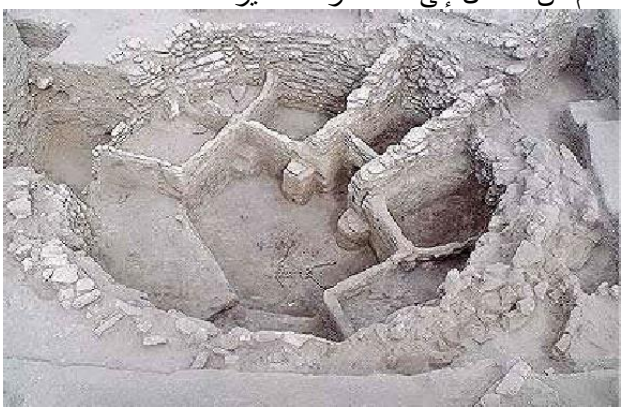

صورة (1): البيت رقم EA30 موقع الجرف الأحمر[12].

وتطورت الفكرة الجماعية لهذه المباني في المرحلة الانتقالية بين فترة ما قبل الفخار(أ) و فترة ما قبل الفخار(ب) في سورية، فاختفت الحجرات التخزينية لتبقى المصطبة في الفسحة الداخلية، وقد زينت واجهتها بواسطة أعمدة مطلية ومزينة برسوم متنوعة لتصبح هذه الأبنية متخصصة بوظيفة واحدة وهي الاجتماعات، كما في البيت EA53 في موقع الجرف الأحمر (الصورة 2) الذي كان على شكل دائري ومحفورًا بالأرض بعمق 2م، ومدعمًا بجدران وحوالي ثلاثين عمودًا خشبيًا كما غطي بطبقة سميكة من اللبن المشوي، ودلت بعض الزخارف على وجود رسومات. أما المساحة الداخلية للبناء فلم تكن مقسمة، إلا أنه يوجد مقعد حجري أسند على جدران البناء الدائري، وهو مقعد مثمن الشكل ممتد على محيط البناء كله عرضه متر واحد، وقد وضع في كل زاوية من زوايا المثمن عامود خشبي كبير مغطى بالطين، وجاءت أمثلة مشابهة في موقع تل عبر[13].

[11]- Akkermans. P. A& Schwartz. G: 2003, P: 54-55.

[12]- Akkermans. P. A& Schwartz. G. 2003, P: 53.

[13]- Stordrdeur. Danielle, Frederic Abbes: 2002, P: 572-573.

الصورة(2): البيت رقم EA53 موقع الجرف الأحمر[14].

وكان الشكل المميز هو ما عثر عليه في موقع جعدة المغارة بإعطاء شكل للبناء يشبه رأس الثور، وهذا ما عثر عليه في بناء الرسومات، فهذا البناء شيدت فيه الدعامات الداخلية لتتدرج ضمن إنشاء معماري ذي مخطط خاص؛ إذ شكلت بحيث تفصل كل دعامة بين حجرتين مستديرتين، وإذا نظر للشكل العام الذي تؤلفه كل منها ، وهي محاطة بالحجرتين المجاورتين لوجدناه مشابهًا لجمجمة الأرخص[15] (الثور البري) (الصورة3)، وهو يعد حيوانًا رمزيًا في ثقافات العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار في الشرق الأدنى، وبدأ يأخذ دورًا في الحياة العقائدية لإنسان ذلك العصر، وهو أيضًا ضمن البقايا الحيوانية التي عثر عليها بكثرة في موقع جعدة المغارة[16].

الصورة (3): منزل الرسومات موقع جعدة المغارة.[17]

[14]- Stordrdeur. Danielle, Frederic Abbes: 2002, P: 574.
[15]- Eric Coqueugnio, 2011, P: 12.
[16]- Eric Coqueugniot, 2011, P: 12.
[17]- Eric Coqueugniot, 2011, P:13.

ومع دخول سورية مرحلة ما قبل الفخار(ب) التي تمتد من 8700 إلى 7000 سنة قبل الميلاد. ساد بشكل عام النموذج الرباعي في البناء بدلًا من النموذج الدائري، ولم يختلف عن النموذج الدائري تمامًا ؛إذ عثر على أمثلة منه في موقع تل أسود في غوطة دمشق، ولاسيما في بداية مرحلة ما قبل الفخار(ب) مثل البيت رقم EA24B12 الذي يبلغ قطره 7أمتار، وهو مطمور في الأرض حوالي نصف متر ,مبني باللبن المقولب، وكانت هذه الأبنية في وسط الموقع، أما على الأطراف فقد كان الشكل الرباعي[18]، بينما حلت الحفر الكبيرة بدلًا من العمارة في السوية الثالثة من موقع تل الرماد[19].

وبشكل عام فإن المخطط الرباعي أدخل المواقد ومستودعات الحبوب داخل المنازل، كما توجد فناءات مفتوحة بين مختلف البيوت تشكل مساحات مناسبة من أجل القيام بالنشاطات العامة لسكان الموقع، إذ توجد المواقد وأركان تقصيب الحيوانات وجمع الفضلات وغيرها. وتميزت هذه العمارة بالتوسع الضخم على صعيد المساحة، ووصلت مساحة تل حالوله إلى 8 هكتارات تقريبا[20].

وكان الشكل الدائري هو الشكل المميز خلال العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار، و مع العثور على الشكل الرباعي، لكن الشكل الدائري كان الأكبر حجمًا، وهو الذي خضعت أجزاء منه إلى تزيينات شملت جزءًا من المنزل أو أكثر، وسنحاول أن نستعرض بعضًا منها بداية من أرض المنزل.

2- أرضية المنزل:

إن محاولة تزيين المسكن كانت قديمة؛ إذ قام الإنسان العاقل الذي سكن في كهوف أوربا بتزيينها بلوحات جدارية غاية في الروعة، وذلك خلال الثقافة المجدلانية التي ظهرت حوالي 15ألف سنة ق.م[21]؛ إذ لم يكتف الإنسان بتقسيم مكان السكن حسب الحاجة، وإنما قام بتزيين جدران الكهوف التي سكنها، فقد زُينت جدران كل من كهف لاسيكواLascaux، ولومستيرLe Moustier، والتميرا/Altamira برسوم بعض الحيوانات كالماموت، والثور، والحصان، والوعول، والتيوس البرية، وغيرها التي جسد الإنسان من خلالها مشاعره ومعتقداته وتواصله مع محيطه الذي كان يعيش فيه[22]، واختار في هذه

[18]- Stordeur, D: 2007, P: 40.

[19]- De Contenson, H: 1985, P: 20.

[20]- موليست، ميغل: 1999، ص: 258.

[21]- محيسن، سلطان 2003، ص: 133.

[22]- يان، إيلنيك: ص: 115-158.

الكهوف الأماكن الأكثر رهبة وتأثيرًا في النفس ليجسد فيها فنه الذي جاء على شكل لوحات جدارية زينت جدران هذه الكهوف إضافة إلى معناها الرمزي[23].

لقد قام إنسان العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار في سورية بمحاولات تزيين سكنه بأنماط متنوعة، فتارة زين الأرض، وتارة الجدران، وتارة أخرى زين المصطبة التي داخل المنزل؛ وكانت أرضيات السكن بشكل عام مفروشة بالطين، وبعضها مطلي بالكلس، وقد جاءت أمثلة عديدة على هذا في مواقع سورية خلال العصر الحديث ما قبل الفخار مثل موقع تل الرماد، وتل أسود[24]، وكانت هناك محاولات لتزيين أرضيات المنازل بشكل غير مألوف في ذلك الوقت ، فقد عثر في موقع تل العبر 3 المؤرخ في الألف العاشر ق.م على أقدم التشكيلات البدائية المشابهة للفسيفساء، ففي البيت المسمى بيت الموزاييك M4؛ وهو عبارة عن بيت كبير دائري محفور قليلًا في الأرض قطره حوالي 8 أمتار، وبني من الحجارة الكلسية، وقسم إلى حجرات من الداخل، و رُصِفت الأرضية بحصى نهرية متنوعة الألوان كالرمادي، والأحمر، والأسود، والأخضر،(الشكل رقم2)، وقد تم اختيار هذه الحجارة النهرية بعناية ملحوظة لتشكل ما يشبه الفسيفساء، ويشكل المنزل هذا أقدم دليل حتى الآن على تزيين أرضية السكن [25].

وجاء مثال آخر من موقع أبي هريرة الذي يعود إلى العصر الحجري ما قبل الفخار (ب)، فقد عثر على عدد من البيوت دلت الأرضيات والأجزاء السفلية من الجدران على أنها كانت تكسى بطبقة من الجص، و تدهن أحيانًا باللون الأسود أو الأحمر، وغالبًا ما يكون ملمعًا. وقد عثر في أحد البيوت الدائرية على أرضية ملونة بالأحمر اللامع يحيط بها إطار باللون الأسود[26].

وتعد الرسوم الإنسانية في موقع تل حالولة الذي يؤرخ في العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار(ب) P.P.N.B من أكثر الاكتشافات إثارة في هذا الموقع، وقد عثر في هذا الموقع على رسومات كانت بداية الاكتشافات من خلال ما عثر عليه في أرضية المنزل EC/F المتعدد الحجرات عام 1997. و بعد ذلك في المنزل JB، وقد صممت الأولى بشكل دقيق ومنتظم وغطت مساحة 1.20x1 متر، وتألفت من ثلاثة وعشرين \23\ شكلًا تتجمع حول شكل مربع، وحدد داخليًا. وقد جسدت الأشكال نساء أبعادهن

---

[23]- Karl J. Narr, 1987, P: 120.

[24]- كوفان، جاك: 1984، ص: 87.

[25]- يرته، ثائر: 2007، ص: 20-21.

[26]- أ. م. مور: 1975، ص: 239.

14-21 سم من نوعين مختلفين[27]. الأول يظهر نساء بشكل أمامي لهن أرداف عريضة أطرافهن واضحة؛ إذ تظهر الساقان على شكل مثلث رأسه حاد، واليدان مثنيتان على مستوى الخصر، و بلغ عدد هذه الأشكال سبعة ١٧، وظهرت إما فردية وإما زوجية. والنوع الثاني جسد أشكالًا نسائية مختزلة، فالأطراف السفلية على شكل مثلث ينتهي بقدم، والأطراف العلوية فيها يدان واضحتان ورأس مبسط يشكلان امتدادًا للخصر، بينما يظهر الورك بارزًا للخلف على شكل مثلث أيضًا. وظهرت هذه الأشكال بمجموعات مؤلفة من شكلين أو ثلاثة، وهناك أربعة منهن في مجموعة واحدة، هذا وقد أنجزت الرسوم باللون الأحمر الداكن من مادة تشتمل على معادن الحديد(هيماتيت).[28]بينما كانت رسومات المنزل JB أقل جودة، وكانت مساحتها 1.6x1.3ملونة بالأحمر على أرضية مطلية بالكلس[29]؛ من الواضح من أشكال هذه النساء، والتأكيد الظاهر على أردافها أنها ترمز إلى معاني الخصب والأمومة، وأن الوجود الأنثوي في هذه اللوحة في وضعية فرح توحي بمشهد راقص، ربما يدل على الدور الذي كانت تؤديه المرأة في الممارسات الطقسية فى المجتمعات الزراعية الأولى فى المشرق[30]. (الشكل3)

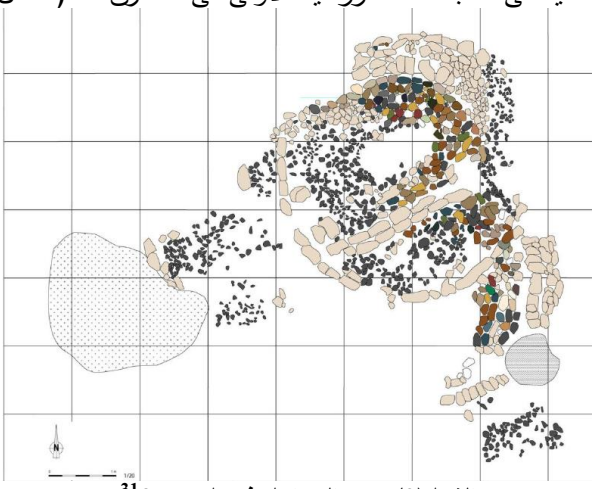

الشكل(2): بيت الموزاييك في تل عبر 3[31]

[27]- Molist. M, 1998, P: 135.
[28]- Molist. M: 1998, P: 136.
[29]- موليست، ميغيل: 2016، ص: 88.
[30]- Molist. M: 1998, P: 136.
[31]- Yartah, Thaer: 2013, Vol(2), P: 28.

الشكل(3): أرضية المنزل EC/F موقع تل حالولة[32]

إن تزيين أرضية المنازل لم تكن سمة عامة في منازل العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار، وإنما كانت ميزة شملت عددًا قليلًا من المنازل ذات النفع العام، وقد يكون وجودها رمزيًا يضاف إلى تزيينات أخرى شملت بقية أجزاء المنزل التي حظيت أيضا باهتمام إنسان هذا العصر كما سنرى لاحقًا.

3- المصطبة:

المقصود بالمصطبة هنا المكان داخل البيت المرتفع قليلًا عن الأرض، وهي تشبه الدكة المخصصة للجلوس، وقد وجدت في أغلب منازل العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار ، وحازت على اهتمام الإنسان الذي عني بتزيينها، فقد عثر في المنزل EA53 في موقع جرف الأحمر على مصطبة مزينة بأشكال هندسية على شكل مثلثات متتابعة متساوية الحجم تقريبًا، ونُقش عليها رسم إنساني غير معروف الجنس يرفع كلتا يديه، وقد يكون هذا الإنسان في وضعية تعبد.[33](الصورة4).

[32]- Molist. M: 1998, P: 135.

[33]- Stordeur, Danielle, Abbes, Frederic: 2002, P: 573.

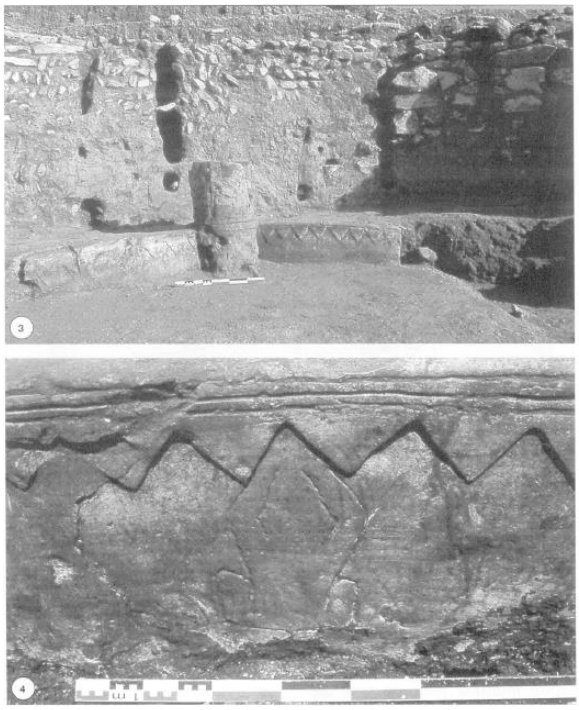

الصورة(4): المنزل EA53 موقع الجرف الأحمر[34]

ومن الأبنية التي ظهرت فيها تزيينات متنوعة على المصطبة كان البيت B2 في موقع تل عبر3، فقد ارتفعت في هذا المبنى مصطبة من الطين على شكل أنصاف أقواس زينت الواجهة الداخلية بالأعمدة، وكانت تفصل بين الأعمدة بلاطات حجرية كلسية بارتفاع 60 سم تقريبًا، وجسد الإنسان عليها حيوانات متنوعة مثل الغزال والثور والفهد، وقد تم تجسيد الغزال بالنقش الإطاري الذي يحصر جسم الغزال فقط بشكل غائر (الصورة5)، أما الفهد فقد تم تجسيده بواسطة نقاط متتابعة، وكان على إحدى البلاطات مزدوجًا، وعلى بلاطة أخرى جَسَدُ ثلاثة فهود متساوية الحجم مع نقش لطائر في أعلى الصورة، وقد يكون الشكل لنسر (الشكل4)، أما الثور فقد جُسِّدَ الرأس فقط على بلاطتين حجريتين نحت على كل منهما رأس ثور بشكل نافر زينت بهما المصطبة داخل المنزل، وجسد في البلاطة الأولى رأس الثور بشكل مثلث يعلوه قرنان منحنيان إلى الأسفل، بينما

[34]– Stordeur. Danielle, Abbes. Frederic: 2002, P: 575.

النحت الثاني فقد ركز الرسام على شكل القرون العريضة والمنحنية قليلًا إلى الأسفل (الصورة رقم 6)، إلى جانب الزخارف الهندسية المتمثلة بخطوط (الزكزاك) والخطوط المائلة، وبعض الخطوط الأفعوانية[35] .

الصورة(5): تجسيد الغزال على مصطبة في المنزلB2 موقع تل عبر 3.[36]

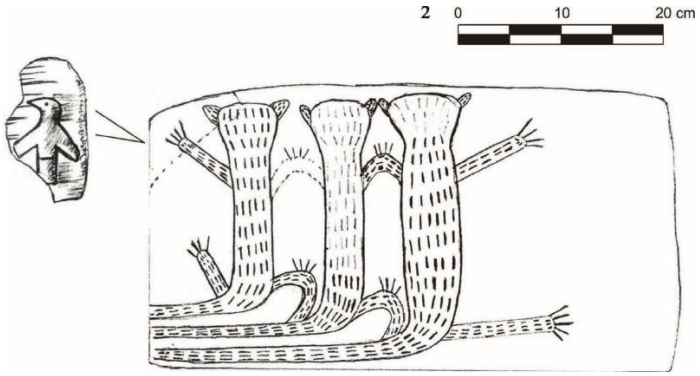

الشكل(4): تجسيد الفهد وطائر على مصطبة في المنزل B2 موقع تل عبر3[37]

[35]– يرته، ثائر: 2007، ص: 18.

[36]– Yartah, Thaer: 2013, Vol(2), P: 136.

الصورة(6): رؤوس ثيران لمنحوتة المنزل B2 موقع تل عبر 3.[38]

كما تم تشكيل المصطبة في بعض البيوت على هيئة رأس الثور، إذ عثر في موقع تل عبر 3 على المبنى رقم M1، وهو بعمق 1.15م، وبقطر 7.5م، وارتفعت على أرضيته مصطبة نحتت وشكلت على هيئة رأس ثور ، إذ يظهر بشكل واضح بوز الثور في وسط البناء، ثم شكلت الجمجمة لتشكل (المنصة التي يتم تقديم الأضاحي عليها)، وتنتهي بقرون غير واضحة (الصورة7)، وكانت هذه المصطبة مخصصة لدفن جماجم وقرون وعظام الثيران بطريقة طقسية فريدة في تلك الفترة حيث تم تغطيتها ولفها بالطين والحصى النهرية قبل دفنها بأماكن محددة داخل المصطبة، كما وجدت حول هذه المصطبة الأحواض الكلسية، والأجران البازلتية ، ومكان للنار كان له علاقة بإقامة الطقوس الشعائرية التي كانت تقدس هذا الحيوان[39]. وجاءت أمثلة أخرى على تقديس الثور من موقع المريبط، فقد عثر على رؤوس ثيران مطمورة في مصاطب من الطين في بيوت السكن في السوية الثانية من المريبط، كما عثر على دمى تجسد الثور في مواقع عدة في هذا العصر مثل موقع تل أسود وتل الرماد.[40]

[37]- Yartah, Thaer: 2013. Vol(2), P: 138.

[38]- Yartah, Thaer: 2013. Vol(2), P: 140.

[39]- عبد الرحمن، عمار: ص: 54.

[40]- محيسن، سلطان: 2003، ص: 190.

الصورة(7): مصطبة على شكل رأس ثور المنزل M1 موقع تل عبر3.[41]

وأخذ تزيين المصطبة شكلًا آخر، وذلك بتزيين الأعمدة المرتبطة بهذه المصطبة، فقد عثر على أمثلة عديدة لتزيين الأعمدة، وكان من بينها ما عثر عليه في المنزل رقم EA53 في موقع جرف الأحمر الذي كان على شكل دائري، ومحفورًا بالأرض بعمق 2م، ومدعمًا بجدران وحوالي ثلاثين عمودًا خشبيًا، وتوجد مصطبة على شكل مقعد حجري ممتد على محيط البناء أعطت شكلًا مثمنًا، وكان في كل زاوية من زواياه عمود خشبي مغطى بالطين، وكان أحد الأعمدة قد نحت على هيئة طائر جارح، ربما كان هذا الطائر هو النسر؛ إذ شكل العمود من الأسفل جسد الطائر، فتم تزيينه بمجموعة من المربعات المتقاطعة يعلوها في مكان الرقبة مثلث نحت بشكل مقلوب الرأس للأسفل، وتعلوهم ثلاثة خطوط مستقيمة ، ثم يأتي الرأس الذي نحت بشكل دائري واضح مثلت العيون على شكل دائرتين صغيرتين، بينما ركز الفنان على تشكيل المنقار بشكل واضح، فقد مثله على شكل مثلث كبير الحجم[42](الصورة رقم 8).

[41]– Yartah. Thaer: 2013, Vol(2), P: 77.

[42]– Stordeur. D: 2000, P: 30

الصورة (8): عمود نحت على شكل طائر المنزل رقم EA53 موقع جرف الأحمر[43]

وكانت تزيينات المصطبة في بعض المنازل مكملة لتزيينات أرضية السكن والجدران التي تنوعت أكثر من غيرها من عناصر المنزل الأخرى.

4- الجدران:

تنوعت أشكال الزينة التي جسدها إنسان العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار على جدران المنازل، ففي البداية اتخذت هذه الزينة أشكالًا هندسية، ففي موقع جعدة المغارة تم الكشف عن أقدم الرسوم الجدارية في الشرق الأدنى، فقد اكتشف في موسم تنقيبات 2002 بيت مبني بشكل دائري نصف مدفون، يصل قطر حفرته التأسيسية إلى حوالي 8أمتار، وبعمق 1.80م (القطر الداخلي للحفرة أكبر من 7,50م)، ويعود تأريخه إلى 11 ألف سنة قبل الآن، ويضم البيت دعامات مزينة بالرسومات الهندسية المتعددة الألوان المطبقة مباشرة على جدران طينية بارتفاع يبلغ نحو مترين، وأطلق عليه

[43]- Stordeur, Danielle; Abbes, Frederic: 2002, P: 575

المكتشفون اسم (بيت الرسومات) التي هي عبارة عن لوحة هندسية دقيقة مكونة من تعاقب مربعات ملونة بالأحمر والأسود والأبيض وفق توزيع منتظم ، تشابه من حيث شكل الرسوم التزيينات التقليدية الموجودة حاليًا في الشرق الأدنى على السجاد اليدوي. فهي عبارة عن لوحة مطبقة على جدار طيني، رسمت بعد إنشاء طبقة بيضاء رقيقة على كامل السطح المراد تزيينه، إذ يلاحظ رسم مستطيل باللون الأحمر وبداخله مستطيل آخر بحجم أصغر، وبداخله أيضًا رسمت مجموعة من المربعات الصغيرة بجانب بعضها بعضا باللون الأسود أعطت شكلًا معينًا ، وبداخله رسم بنفس التناظر مجموعة من المربعات ذات اللون الأحمر أو الأسود، أو تركها باللون الأبيض معطية بذلك تركيبة متناظرة ومنتظمة جدًا، فقد تم الاعتناء بتوزيع الأشكال والألوان على كل اللوحات المرسومة[44] (الصورة 9 أ–ب)، وقد أظهرت التحاليل المخبرية أن اللون الأبيض يتكون من كالسيت مطحون أو كالسيت مخلوط بطلاء جيري، ويتألف اللون الأحمر من خليط أكسيد الحديد الأحمر الطبيعي والكوارتز، أما اللون الأسود فيتشكل من عدة أنواع من الفحم، ومن بينها فحم الخشب، كما بينت تلك التحاليل أن تركيبة الفحم يدخل بها الغرانيت، وهي مواد نادرة في الطبيعة، وعلى الأغلب فإن اختيارها في التلوين لم يكن عشوائيًا.[45] وتتعدى أهمية هذه الرسومات كونها أقدم رسوم جدارية معروفة في الشرق الأدنى فحسب؛ بل كونها أقدم رسوم تزينية مطبقة على منشأة بناها الإنسان، وبذلك تختلف عن رسومات العصر الحجري القديم المكتشفة في أوروبا التي تعد الأقدم حاليًا إلا أنها منفذة على أرضية طبيعية.

الصورة(9–أ): رسوم جعدة المغارة

[1-] Eric Coqueugnio: 2011, P: 15.
[2-] Eric Coqueugnio: 2011, P: 16.

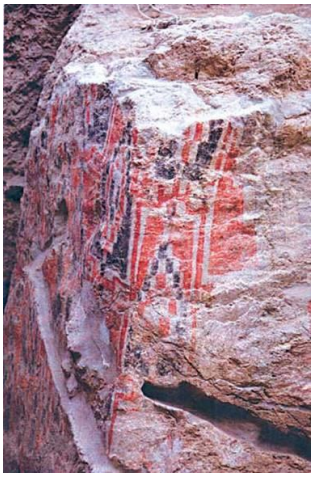

الصورة (9–ب): رسوم جعدة المغارة [46]

وتعد رسوم جعدة المغارة إبداعًا فنيًا، وضمن الإطار الجغرافي للمنطقة نجدها متشابهة مع الرسوم الهندسية التي كشف عنها في موقع المريبط السوية الثالثة، ففي أحد المنازل الدائرية ظهرت على الجدران بقايا رسومات لأشكال هندسية وخطوط تزينية سوداء رسمت على خلفية بيضاء وحصرت بين إطارين من اللون الأحمر، ولكن حالة الحفظ المتردية لم تسمح بالإبقاء إلا على أجزاء صغيرة منها[47]. وكما هو الحال في جعدة المغارة تشير التحاليل المطبقة على العينات المأخوذة من تزيينات المريبط إلى أن الألوان المستخدمة هي أيضًا من المكونات ذاتها(كالسيت، هيماتيت، والفحم).[48]

وفي الفترة الزمنية ذاتها النيوليت ما قبل الفخار (أ) P.P.N.A عثر في المبنى رقم EA57 بموقع الجرف الأحمر على تزيين للجدران بعقود من الخرز الطيني النافر، وكانت تشكل الرابط بين جماجم الثيران التي علقت على الحائط مشكلة مع الخرز الطيني الناتئ عقدًا كبيرًا يرمز للثور ومكانته في تلك الفترة[49]. علمًا أن تزيين الجدران بجماجم الثيران عثر عليها مبكرًا في موقع المريبط السوية الثالثة ، فقد وجدت قرون الثور مغروسة في جدران أحد المنازل[50]

[46]– Eric Coqueugnio, 2011, P: 11.
[47]– Ibanez (ed), 2008, 1843.
[48]– Ibanez (ed), 2008, 1843.
[49]– Stordeur.D, 2000, P: 35.

[50]– محيسن، سلطان: 2003، ص: 191.

وأخذ تزيين الجدران شكلًا أكثر تطورًا في النيوليت ما قبل الفخار(ب) P.P.N.B، بظهور اللوحات الجدارية التي تعالج موضوعًا حيوانيًا أو إنسانيًا، فقد زينت جدران أحد المنازل في موقع تل بقرص برسم جداري لمجموعتين من طيور النعام التي رسمت باللون الأحمر على خلفية بيضاء، وقد تكونت المجموعة الأولى من أربعة طيور، وقد كانت متطابقة في الرسم فقد مثلت الأرجل بخطوط طويلة، والذيل مثل بأربعة خطوط منحنية طويلة من الأعلى وتقصر باتجاه الأسفل، والرقبة طويلة، والرأس عبارة عن دائرة صغيرة لا تظهر فيه أي ملامح باستثناء بروز يدل على المنقار، ورسمت الطيور خلف بعضها بعضًا، وتدل حركة الرقبة الممتدة قليلًا إلى الأمان بأن الطيور في وضعية السير. بينما تكونت المجموعة الثانية من خمسة طيور رسمت ثلاثة منها في الصف العلوي، واثنتين في الصف السفلي، وتكون الذيل من أربعة خطوط منحنية تقصر باتجاه الأسفل، والجذع طويل، والرقبة ممتدة إلى الأمام، والرأس غير واضح المعالم باستثناء البروز الذي يدل على المنقار، وفي هذه المجموعة تظهر أصابع الأقدام بشكل واضح التي مثلت بثلاثة خطوط صغيرة متباعدة عن بعضها بعضًا[51] (شكل5).

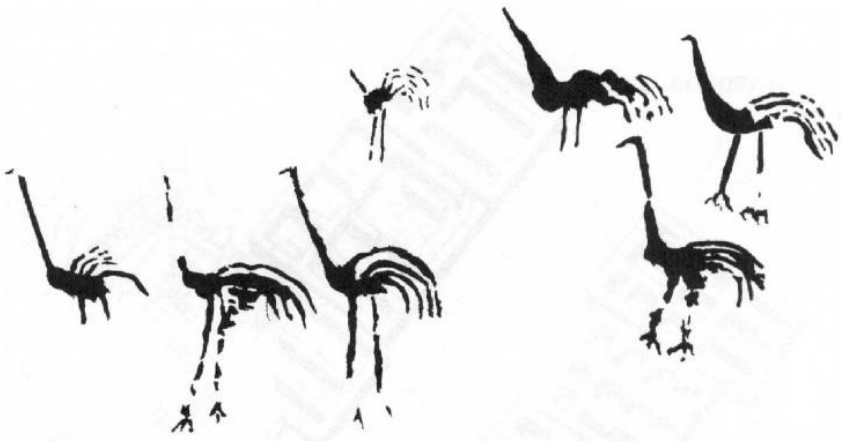

الشكل(5): لوحة طائر النعام موقع بقرص[52].

[51]– Akkermans. P & Van Loon M &Roddenberg J & Waterboler: 1977, P: 50.

[52]– Akkermans. P. A &Schwartz. G: 2003, P: 124.

أما تجسيد الإنسان فقد عثر في أحد جدران موقع تل بقرص على نحت نافر من الجص الملون يمثل رأسًا بشريًا، فقد شكلت العيون بقطع من الأوبسيديان الأسود، ومثلت كل ملامح الوجه والرأس بشكل واقعي[53].

ويمكن القول: إننا نتحدث هنا عن فن اللوحات الجدارية في هذه القرى النيولتية، وربما كان هذا النمط من الفن قليلًا في الشرق الأدنى بشكل عامـ ففي أريحا في فلسطين عثر على جدران لمنازل مدهونة باللون الأحمر كما عثر على آثار لرسوم تمثل شجرة أو ربما عظام سمكة على الأرض. ومن الأناضول تأتي رسوم شاتال هيوك التي تأتي أهميتها من حالة الحفظ الجيدة للجدران[54]، ومع أهمية هذه الرسوم وتنوع مواضيعها إلا أن الرسوم الهندسية الملونة على الجدران في جعدة المغارة والمربيط، أو الأشكال الإنسانية التي عثر عليها في تل حالولة قد سبقت رسوم شاتال هيوك بحوالي ألفي سنة.[55]

الخاتمة:

يعد العصر الحجري الحديث ما قبل الفخار عصر الاستقرار الاقتصادي للإنسان في سورية المتمثل بالزراعة والتدجين، كما شهد بدايات تبلور الفكر الديني، وتشكل قرى المزارعين الأول، التي تعددت فيها أشكال ووظائف المنزل الذي تدرج شكله في سورية خلال هذا العصر من الدائري إلى الرباعي، وحازت بعض المنازل على أهمية خاصة، وعدت ذات نفع عام، ولها خصوصية عقائدية، و لم يقتصر اهتمام الإنسان على شكل هذه النوعية من المنازل، وإنما حاول الإنسان أن يجسد أحاسيسه فيها بأعمال فنية ذات أبعاد رمزية جسدها الإنسان على الجدران أو المصطبة أو على أرضيات المنزل، وتدل هذه الأشياء على تقدم فكري ملحوظ، فقد تباينت مواضيع الزينة في هذا المنزل أو ذاك لتجسيد موضوع حيواني أو إنساني أو حتى طبيعي بحس فني واضح وبمنظور عقائدي. فقد احتل الثور مركز الصدارة في تجسيد الحيوان، إذ عثر على جماجم ثيران مطمورة في مصاطب طينية مشكلة أقدم الأدلة على الممارسة الدينية الواضحة في المنطقة، وغرست قرون الثور في عدة أجزاء من جدران المنزل، ونحت الرأس على بلاطات حجرية، ووصل الأمر إلى أن يتم تصميم المنزل على شكل قرون الثور، والمصطبة على شكل رأس ثور، مما يؤكد المكانة الروحية للثور لدى سكان هذا العصر.[56] الذي

---

[53]- Akkermans. P. A& Schwartz. G: 2003, P: 121.

[54]- ميلارت،جيمس: 1990، دمشق، ص: 132.

[55]- محيسن، عصور: 2003، ص: 1.

[56]- محيسن، سلطان: 1996، ص: 62-63.

انتشرت دمى له في عدة مواقع الأمر الذي كان يشير إلى شكل من أشكال الطقوس الدينية المرتبطة بالثور[57]

أما التزيينات البشرية على قلتها فإن الغالب فيها تجسيد المرأة التي لا يخلو موقع من مواقع هذا العصر من دمى تجسد الربة الأم؛ لأنها تجسد الخصوبة والأمومة التي انتشرت في هذا العصر.

تبلور في هذا العصر الجانب العقائدي فإلى جانب حجم المنزل وشكله، فقد جسد الإنسان فيه أعمالًا فنية تجسد ما يجول في نفسه من مقدسات وأفكار جعلت منها مرآة للجانب العقائدي في هذا العصر، فالفن والعقيدة في عصور ما قبل التاريخ شيآن متلازمان، ولا يمكن فهم فن الإنسان من دون فهم التركيبة العقائدية له، وقد يكون الفن جزءًا منها.

[57]- النمري، غسان: 2002، ص: 138-139.

المراجع العربية:

1. أ. مور: الحفريات في تل أبي هريرة، ترجمة: خالد أسعد الحوليات الأثرية العربية السورية، ج1-2، مجلد(25)، 1975، ص: 237-240.

2. عبد الرحمن، عمار: معتقدات وفنون المزارعين الأوائل في المشرق العربي القديم "الإلهة الأم"، دمشق، 2009.

3. كفافي، زيدان: أصل الحضارات الأولى، دار القوافل للنشر والتوزيع، الرياض، 2005.

4. كوفان، جاك: ديانات العصر الحجري الحديث، ترجمة: سلطان محيسن، دار دمشق، دمشق، 1988.

5. كوفان، جاك: القرى الأولى في بلاد الشام، ترجمة: إلياس مرقص، ط1، دار الحصاد، دمشق، 1995.

6. محيسن، سلطان: بلاد الشام في عصور ما قبل التاريخ المزارعون الأوائل، الأبجدية، دمشق، 1994.

7. محيسن، سلطان: عصور ما قبل التاريخ، جامعة دمشق، دمشق، 2003.

8. ميلارت، جميس: أقدم الحضارات في الشرق الأدنى، ترجمة: محمد طلب، مطبوعات دار دمشق، دمشق، 1990.

9. موليست، ميغل: العصر الحجري في الألف التاسع والثامن في شمال سورية، نتائج تنقيبات تل حالولة (وادي الفرات، سورية)، ترجمة: بسام جاموس، عادلة طالبي الحوليات الأثرية العربية السورية مج 43، 1999.

10. موليست، ميغيل: دور الفضاء المنزلي والمسكن في عملية توطيد المجتمعات الزراعية الوثائق الجديدة الآتية من وادي الفرات (حلف-العصر الحجري الحديث ما قبل الفخارب- المرحلة الوسطى MPPNB الألف السابع الثامن قبل الميلاد) في جوان لويس مونتيرس فينولوس: من القرية في العصر الحجري الحديث إلى المدينة السورية الرافدية، ترجمة: د. سوزان ديبو، 2016

11. النمري، غسان: عمّان في العصر الحجري الحديث التحليل البنائي لمنحوتات عين غزال، منشورات أمانة عمان الكبرى، عمان، 2002.

12. يان، إيلنيك: الفن عند الإنسان البدائي، ترجمة: جمال الدين الخضور، دار الحصاد، دمشق، 1994.

13. يرتـه، ثائر: تل العبر3 قريـة زراعيـة من الألـف العاشر ق.م، مهد الحضـارات، العدد(2)، 2007.

المراجع الأجنبية:

1. Akkermans P& Van Loon M &Roddenberg J & Waterboler: The 1976-1977 Excavations at tell Bouqras, Les Annalea Archeologiques Arabes Syriennes, Vol 32 Band, 1977.

2. Akkermans P. A&Schwartz G: the Archaeology of Syria, from Complex Hunter-Gatheres to Ealy Urban Societies (16000-300BS.) Cambridge press, 2003.

3. Aurenche. O: La Maison Orientale, Paris, Geuthner, 1980.

4. Boëda.Eric et al; Le Site Acheuleen d'El Meirah. Syrie. IN;"From the River to The Sea" the Palaeolithic and the Neolithic on the Euphrates and in the Northern Levant .Aurench .Le Mier. Sanlavill(eds). Studies in Honor of Lorrain Copeland .B.A.R. 1263, 2004.

5. De Contenson, H: 1985.

6. Karl. J. Narr: Paleolithic Religion, In: M.Eliade, ed, Encyclopendia of Religion, McMillan, London, 1987.

7. Eric Coqueugniot: Des Pentures dans un batiment comunautaire du neolithique preceramique(vers 9000 av. J.-C) a Dja de(Syrie), Les Annalea Archeologiques Arabes Syriennes, Vol(53), 2011.

8. Ibanez (ed): Le Site Neolithique de Tell Mureybet (Syrie du Nord), Oxford, BAR International Series 1843, 2008.

9. Molist. M: Tell Halula 1997, Chronique Archeologique en Syrie n II, 1998.

10. Stekeelis. Met. Yzraely. T: Excavation at Nahal Oren.Preliminary report, I.E.J, n1, 1963.

11. Stordrdeur. Danielle, Abbes. Frederic: Du P.P.N.A au P.P.N.B mise en Lumiere d'une phase de transition a Jerf el Ahmar (Syrie); Bulletin de la Societe Prehistorique Francaise. Tom 99,N(3), 2002.

12. Stordeur.Danielle: Les Batiments Communautaires de Jerf el Ahmar et Mureybet Horizon PPNA(Syrie), Paleorient, Vol(26\1), 2000.

13. Yartah. Thaer: Vie quotidienne, vie communautaire et symbolique àTell 'Abr 3 – Syrie du Nord Données nouvelles et nouvelles réflexions sur L'horizon PPNA au nord du Levant 10 000–9 000 BP, 2013.

14. Valla. Francois: Chronolog ie absolute et Chronologie relative dans le, Natufien, London, 1987.